Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي يبرىء بها ذمته ويغلق باب الحديث عن هذه الحملة: « جاء ركن الدين بيبرس فقصّ عليهم نتيجة مهمته (!!) في دمياط وقد انتهت بإخراج الإفرنج من هناك بشروط مناسبة » .

ولست أدري كيف تعد الرواية بعد ذلك رواية لتاريخ الإسلام ، وكيف تحمل اسم شجرة الدر .

لو كان المؤلف مخلصاً لتاريخ الإسلام الذي يؤرخ له ، لأعطى لهذه الحملة حقها من الأمانة والتوازن ، ولما أخفى أمجاد هذه الحملة على هذا النحو المهين .

ولو كان المؤلف مخلصاً لتاريخ شجرة الدر ، التي جعل اسمها عنوان للرواية لأفاض في ذكر هذه الحملة ، لأنه كان لشجرة الدر فيها دور فذ ، فقد تولت هذه الملكة قيادة الصراع ، بعد أن مات زوجها الملك الصالح ، والمعركة دائرة ، وأخفت نبأ موته حتى يتم لها النصر .

ولكن المؤلف لم يكن بصنيعه كريماً مع الحقيقة الرائعة ، سواء في تاريخ الإسلام أو في تاريخ شجرة الدر .

أما المفخرة الثانية وهي النصر النهائي على التتر المغوليين فلها هي الأخرى شأن عجيب إذ لم تظفر من صفحات الرواية الثلاثمائة وتسع وعشرين إلا بخمسة أسطر فيها من تهوين النصر وتحقيره ما نراه حين نقرؤها : « وفي السنة التالية زحف هولاكو على سورية وبعث يهدد قطز فشاور الأمراء فأشاروا عليه بالحرب وفي مقدمتهم ركن الدين ، فجرّد حملةً سار ركن الدين فيها واضطر هولاكو إلى الرجوع لموت والده وأخذ معظم جيشه معه ؟!! والتقى ما بقي من رجاله بجيش قطز في فلسطين في معركة (؟!) فاز فيها المصريون وعادوا ظافرين[٥٥] .

لقد كان جرجي زيدان سورياً متمصراً ، وكان ولاؤه لمصر وسورية يقضي بتمجيد هذا النصر الذي هو ثمرة التلاحم بين مصر وسورية ، ولكنه لم يفعل .

والذي يدل على أن المؤلف يسعى إلى تحقيق غايته الاستشراقية بذكاء وقسوة انه ذكر هذه الأسطر الخمسة الهزيلة في تصوير النصر بعد أن أورد قبلها مائة وثمانين صفحة في ذكر انتصارات التتر ، وهزائمنا أمامهم ، وخياناتنا وتفككنا وجبننا حيالهم ،